

من أنا

صحوت من لهو الطفولة والصفرةُ
على وقع كلمات العيب والذنب والقدرةُ
خرجت منهمكاً أبحث عن ذاتي
عن هويتي وعنوان حياتي
بحثتُ حتى تعبتُ من الكتب القديمة
وقراءة النقش على الحجرُ

كتبٌ باهتةُ اللون
نقوش مَحْتَهَا يد الزمن
تهمس بصوت رخيم رهيب
كل الينابيع تهوى البحرُ
وألغاز الحياة تصب في لغز القدرُ

جلست في غرفة الدرس استمعُ
لأقوال أستاذ في علوم الدين بحرُ
سمعت لغةً غريبةً مُبهمةً
وأحكاماً قاطعة تتحدى عقل البشرُ
طلاسّم كان علينا أن نحفظها
قبل أن يعي العقل ما يدور حوله
ويعرفَ المبتدأ من الخبرُ

سألت عن قضية في التراث تُحيرني
جاء الجواب قاسياً كالرجم بالحجرُ

حرموني من الدراسة أياماً
غصت في ذاتي أبحث عن ذاتي
أدركت أن قومي جُهلاء قُصارى النظرُ

أطلقت روعي تعانق الطبيعة
تستوحي منها معنى الهوية والأنا
في عالم يغص بألوان البشرُ
علوم تصنع كل شيء
وتُعيد كل لحظة صنع القدرُ

أصنع من ضمير الزمن ضميري
ومن روح الطبيعة ألوان حنيني
وأرى العشق على وجه القمرُ
أبحث في قوانين الكون عن نبض فؤادي
عن وعي الزمن في تقلبات الزمن
وأشواقني في الغروب وفي المحن
واستعذب فيها، كالطير، السفرُ

حين يسرق الوقت وقتي
أصنع من النوم حُلماً
يُعوّض ما فات من ليل السهرُ
أترك خيالي يغفو على همس الريح
ويصحو على وقع حبات المطرُ
أهرب من الزمن لموسيقى الشموع
وأنسى كيف جننا ومتى الرجوع
فالسر مخفي في النقش على الحجرُ

حين يخونني صديق
أغوص في أعماق ذاتي
أبحث عن منابع الخير فيها
إنسانية الإنسان في منافيها
حيث يقف الضمير شاهداً
رفيق عمر وجواز سفر

حين أشعر برغبة في الهروب
أصنع من الأزهار أفكاراً
ومن الفراشات قارباً وبحاراً
من الطيور مطربين ومزماراً
والشعر، أصنعه من لحن الوتر

حين تحاصرني العداوات
أصنع السلم من سكون ليلي
من ذكريات تعيش العمر سهر
من عيون حبيبة لا تغيب عني
أسترخي في أحضانها وأنسى الحذر

حين تغيب عشيقتي عني
أضاجع أفكاري وأسراري
وأحلم معها بيوم جميل هادئ
نتعانق فيه في ظل الشجر
ونقطف من العمر حلو الثمر

حين أشعر برغبة في صلاة
أهرب إلى معبد الحب العتيق

استلهم من الصلاة معنى الحياة
فأكتشف أن الحبيب حلم ضل الطريقُ
وأن الحياة جحيم بلا رفيقُ

حين تضيق في وجهي الدنيا
استنجد بحلو الأمل
أهرب من ذاتي إلى ذاتي
حيث الهروب في الذات عبرُ

أسافر مع ضميري
إلى حيث يأخذني السفرُ
استمتع بشمس الشتاء وليل القمرُ
لا أفكر في عيب أو ذنب
حتى يأتي يوم الحساب
وأعرف معنى القدرُ
وأقف أمام الله خاشعاً
وأتقن من حبه لكل البشرُ

د. محمد ربيع

www.yazour.com